مرتكزات الفكر الإلحادي

الله سبحانه وتعالى هو الدليل بنفسه على نفسه

في البداية لا بد من الإشارة إلى أنه ليس للفكر الإلحادي نظرية واحدة متكاملة تفسر ما ذهب إليه هؤلاء من فكر شاذ ولكن يقدم الملاحدة للناس مجموعة من الظنون والافتراضات التي لا تقنع عقلًا ولا تشفي غليلًا، وقد حاول الملاحدة أن يدعموا فكرهم بنظرية علمية من هنا وأخرى فلسفية من هناك، وحاولوا أن يجمعوا ما بين هذه وتلك، فخرجوا من هذا التلفيق بمنهج هجين مشوه غير مقنع.

ومن خلال تتبعنا لمرتكزات الفكر الإلحادي وجدنا أن ما يقيم عليه الملاحدة منهجهم يرجع إلى مرتكزين، وهما:

أولًا: النظرية العلمية التجريدية التي تتناسب مع فكرهم.

ثانيًا: النظريات الفكرية الفلسفية التي تتناسب مع فكرهم أيضًا.

أولًا: النظريات العلمية التجريدية:

وبالنظر إلى النظريات العلمية التجريدية التي تم اختيارها من جانبهم هي بالاستقراء نوعان:

الأول: نظريات علمية غير صحيحة ثبت عدم صحة محتواها بعد أن ملأت الدنيا ضجيجًا، وهذه النظريات بدأت تخبو لتحل محلها نظريات تتفق والحقائق الإيمانية الدينية، فالواقع يشهد أن النظريات العلمية الحديثة تبتعد تمامًا عن الإلحاد وتقترب من الإيمان.

الثاني: نظريات حديثة ولكنها لا تعدو بعيدًا عن تلبيساتهم، ومنشأ خلل هؤلاء الملاحدة هو أنهم لم ينفذوا من الأسباب إلى مسببها ومن المخلوقات

إلى خالقها.

ومن أهم هذه النظريات ما يلي:

نظرية داروين:

وهي النظرية التي وضعها في كتابه المسمى (أصل الأنواع)، وهذا الكتاب أصبح اللبنة الأساسية لنظرية التطور الإلحادية.

وقد أقام (داروين) نظريته على أساس أن الأحياء لم يخلق كل واحد منها خلقًا مستقلًّا، بل كان لها أصل واحد هو الخلية البسيطة التي أخذت تتطور وترتقي من طور إلى طور حتى نشأ الإنسان، وهذا ما عبر عنه بمصطلح الانتخاب الطبيعي أو (بقاء الأصلح).

وتجمع نظرية داروين في ثناياها كبار ملاحدة العالم الذين يرون أن الإنسان لا خالق له، وأنه وليد ملايين السنوات من التطور الطبيعي والنشوء والارتقاء بين الأنواع المختلفة.

وقد اهتم الملاحدة كثيرًا بهذه النظرية لأنها في نظرهم هي النظرية الوحيدة التي يمكن بها تفسير الكون والحياة دون الحاجة إلى خالق، والحقيقة والواقع يؤكدان أنها نظرية هشة ضعيفة غير متماسكة، ولذا فقد اضمحلت وضعفت كثيرًا في عصرنا الحاضر.

ويمكن تلخيص أهم أوجه بطلان هذه النظرية من خلال العلماء والباحثين في النقاط الآتية:

أ - إنها نظرية قاصرة؛ فهي لم تفسر جميع مظاهر الحياة في هذا الكون، فهي مثلًا لا تقدم تفسيرًا لأصل نشأة الحشرات مع إنها تمثل ٨٠٪ من مجموع الحيوانات، فهل تطورت تلك الحشرات أم بقيت على ما هي عليه ولم يجرِ عليها قانون التطور؟ كما أنها لم تقدم تفسيرًا للطيور، وهل ما يطير

من الحيوانات قد تطور؟ وماذا كان أصل هذا التطور؟ إلى جانب أشياء أخرى ترجع إلى الأحياء تم إهمالها في هذه النظرية فما قيمة نظرية لا تقوم بتفسير ٩٠٪ من الظواهر التي من المفترض أن تتناولها؟

ب - عجز أرباب هذه النظرية وأنصارها عن بيان كيفية انتقال الحياة من جماد إلى كائنات حية، فإذا سألتهم كيف وجدت الحياة فجأة من خلية جامدة إلى أنفس حية لها إحساس وعقل؟ قد يجيبك الملحد - وتجيب أيضًا هذه النظرية -: بأن هذا التطور إنما حدث فجأة! وكلمة (فجأة) لا تعطي إجابة بالطبع، ولا يخفى أن (فجأة) ليست جوابًا علميًّا، بل هو جواب يصادم العلم تمامًا.

ج - إنه عند التأمل فيما اعتمدت عليه هذه النظرية نجد أنها تنطلق من وجود تشابه بين الأحياء، ولذا قرر (داروين) أن أصل الإنسان قرد بسبب هذا الأمر، ومما تزعمه هذه النظرية أيضًا أن وجود الأمراض المشتركة بين الإنسان والحيوان يدل على وجود تشابه بينهما، وهنا نسأل أرباب هذه النظرية، لماذا لا يكون الإنسان متطورًا من فأر وليس قرد لأنهما يشتركان في كثير من الأمراض مثل السرطان؟! وبالطبع لا جواب عند هؤلاء.

ومن خرافات هذه النظرية أيضًا الزعم بأن الأعضاء غير المستعملة تضمر بمرور الزمن، وتنتقل ضامرة إلى الأجيال القادمة أما التي تستعمل فتقوى وتتطور، ولذا يقولون إن عنق الزرافة طويلة لأنها محتاجة إلى أن تأكل من الأشجار فتمد عنقها، ثم تطور الأمر شيئًا فشيئًا حتى أصبح العنق طويلًا، والسؤال الوارد هنا هو: لماذا لم يطل عنق الماعز مع أنها محتاجة كذلك إلى أكل أوراق الأشجار وهي تمد عنقها أيضًا إلى الأشجار منذ آلاف السنين؟ وبالطبع لا جواب عند الملاحدة.

كما يذكر (داروين) أيضًا أن أسلافنا كانوا ذوي شعر كثيف وأنه عندما

تطور وتحول هذا الكائن إلى إنسان سَوِيٍّ سقط كثير من شعره لعدم استعماله أو الحاجة إليه، لكنه عندما جاء ليفسر عدم وجود الشعر عند النساء كما هو عند الرجال اعتذر بعذر عجيب، حيث زعم أن هذا ضروري لجمال المرأة وجاذبيتها، وهذا الجواب من الممكن أن يُقنع به لو كان النظر للموضوع يصاحبه اعتقاد بوجود خالق عظيم، ولكن هذا لا يقر به الملاحدة.

وأيضًا حاول (داروين) أن يفسر وجود الشعر في منطقة الرأس من الإنسان وعدم تساقطه مع بقية شعر الجسم الذي يسقط في زعمه فيقول: بما أن الرأس معرض كثيرًا للضربات فقد كان من الضروري أن يبقى الشعر عليه.

يا للعجب فماذا عن الجبين والأنف وهما يتعرضان لصدمات أكثر وماذا عن وجود الشعر في بعض المناطق الداخلية في الجسم، هل كان وجوده لهذا السبب أيضًا. وباختصار نظرية داروين نظرية هشة ومتداعية.

نظرية الانفجار العظيم:

وهي النظرية الثانية التي يأخذ بها أصحاب الفكر الإلحادي، وخلاصة هذه النظرية تقول: إن أصل الخلق كان (كرية) بسيطة ذات خلية واحدة وهي صغيرة كرأس الدبوس، وكانت تسبح في اللازمان واللامكان، ثم انفجرت فجأة قبل ١٥ مليار سنة، فنتج عن هذا الانفجار تكوُّن هذا الكون بالتدريج، فأصل هذا الكون كله كما تقول النظرية (كرُية في حجم رأس الدبوس)، وهذه النظرية ستبقى سوطًا ووصمة عار في جبين الملاحدة، من أين جاءت تلك الكُرية التي تشبه رأس الدبوس هذه؟ وهو السؤال الذي لم يجب عليه هؤلاء الملاحدة ولن يجيبوا، وسؤال آخر: لماذا كانت هذه الكرية ساكنة ثم قررت فجأة أن تنفجر؟ وسؤال ثالث: ما ميزة هذه اللحظة التي انفجرت فيها تلك (الكُرية) بالذات عن غيرها من اللحظات؟ وسؤال رابع:

كيف ينتج انفجارٌ نظامًا كونيًّا بديعًا؟ وسؤال خامس: كيف أنتجت نقطة من مادة جامدة حياة وعقلًا ومشاعر؟ قد يجيب الملاحدة قائلين بأن ذلك حدث بفعل تفاعلات أنتجت خلايا اجتمعت فتكونت بعد الانفجار بهذا النظام البديع في كل شيء.

وإذا سئلوا كيف حدث هذا الاجتماع للخلايا؟ وكيف وجدت الحياة من الجماد؟

أجاب الملحد في بلادة: حدث هذا تلقائيًّا وصدفة، وهكذا حال الملاحدة كل الظواهر تعلق عندهم إلى الصدفة، الصدفة لديهم أوجدت السماء وأوجدت الغلاف الجوي، وأوجدت الضغط الجوي وأوجدت الغازات وأوجدت السحب والأرض والأنهار والبحار والأسماك والإنسان، وأوجدت أعضاء مناسبة لاحتياجات الإنسان من سمع وبصر وقلب يدق وكريات دم حمراء وبيضاء بأعضاء مناسبة، وفوق هذا وذاك وجد العقل والأحاسيس كل هذا حدث عند الملاحدة صدفة.

ولا يشك عاقل في أن قانون الصدفة باطل ولا يجيب عن أي أسئلة، والعقلاء جميعًا متفقون على أن الصدفة لا تنتج نظامًا على الإطلاق.